قراءة في رواية " بوق في وادي " لسامي ميخائيل

أ.م. علاء عبد الدائم زوبع
مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

م. علي محمد رشيد
كلية اللغات / جامعة بغداد

البريد الإلكتروني Email : al_20_al2005@yahoo.com

الكلمات المفتاحية: سامي ميخائيل ، بوق في وادي ، صورة العربي في الأدب الإسرائيلي .

كيفية اقتباس البحث

زوبع ، علاء عبد الدائم، علي محمد رشيد، قراءة في رواية " بوق في وادي " لسامي ميخائيل، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠٢٠، المجلد:١٠ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Read in the novel "trumpet in the valley" to Sami Michael

Alaa A. Zobea
Babylon Center for cultural and historical studies

Ali Mohamed Rashed
University Of Baghdad

Keywords : Sami Michael, trumpet in the valley, Arab image in Israeli literature.

How To Cite This Article
Zobea, Alaa A., Ali Mohamed Rashed, Read in the novel "trumpet in the valley" to Sami Michael,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2020,Volume:10,Issue1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract
The novel " trumpet in the valley " is one of the novels that has attracted the attention of critics and researchers around the world for its new and daring ideas and visions about the Arab-Israeli conflict and its connection to the Israeli reality and its treatment of the Zionist movement and its effects on the psyche of the Israeli individual. The novel is a triumph over the hatred and hatred that is printed on the heart of the heroine of the novel, and it has been overturned by love and faith to the same advocate of peace and love as the author aspires to. But the death of the hero in the novel has turned the result upside down and hence the title of the research is based on (forbidden love .... read in the novel "a trumpet in the valley), and the study came in a preface and two papers and a conclusion of the most prominent results dealt with the preface: biography of the

distinguished writer and most important The first topic dealt with the content of the novel and the main axes of it, starting from its provocative and interesting title, the time of the novel, its place and characters, and the author's approach in his novel (the writer's vision). The second topic dealt with the description of the Arab and Israeli communities, The Jews and Arabs are the novel and its main reaper Love was a factor of change for the better and better, and the critical reading of the novel found that the novel was the author's call to spread love and peace with the other, to know the feelings of the Arab people and their pain, and that The writer was bold in his talk about love and sex, the novel is undoubtedly rich in connotations and meanings and strange images

ملخص البحث

تعد رواية (بوق في وادي) من الروايات التي أثارت اهتمام النقاد والباحثين في العالم اجمع، لما تحمله من أفكار ورؤى جديدة وجريئة حيال ماهية الصراع العربي – الاسرائيلي ، ولارتباطها بالواقع الاسرائيلي، ومعالجتها لاقرارات الحركة الصهيونية واثارها على نفسية الفرد الاسرائيلي ، وقد حقق الحب في الرواية انتصار على الحقد والكراهية المطبوعة على قلب بطلة الرواية فانقلبت بفضل الحب والإيمان إلى ذات داعية إلى السلام والمحبة كما يصبو اليه المؤلف ، لذا فان البطلة قد شكلت بوقا لافكار المؤلف الرامية الى السلام. ولكن موت البطل في الرواية قد قلب النتيجة راسا على عقب ومن هنا أستقر عنوان البحث على (قراءة في رواية " بوق في وادي")، وقد جاءت الدراسة ضمن تمهيد ومبحثين وخاتمة بأبرز النتائج تناول التمهيد: سيرة حياة الكاتب المميزة واهم نتاجاته الادبية. أما المبحث الأول: تطرق الى محتوى الرواية وأهم محاور الرئيسة فيها، بدءً من عنوانها الاستفزازي والمثير للانتباه، وعن زمن الرواية ومكانها وشخصياتها ومنهج الكاتب في روايته (رؤية الكاتب)، في حين تناول المبحث الثاني: وصف المجتمعين العربي والاسرائيلي ، وعلاقة بين اليهود والعرب الرواية ورعشتها الرئيسية وصولا إلى غاية الكاتب وشر انتصار الحب على الكراهية والحقد، والإيمان على الكفر والإلحاد، فكان الحب عاملا من عوامل التغيير نحو الأفضل والأحسن. وقد توصلت القراءة النقدية للرواية إلى أن الرواية كانت دعوة الكاتب لاشاعة الحب والسلام مع الاخر، ولمعرفة مشاعر الشعب العربي وآلامه، وأن الكاتب كانت جريئا في حديثه عن الحب والجنس، فالرواية هي بلا شك ثرية بالدلالات والمعاني والصور الغريبة.

المقدمة

كما هو معروف ، إن للعنوان أهمية كبيرة في الأعمال الادبية عامة، لذا فإن مجيء رواية (بوق في وادي)، للاديب الاسرائيلي سامي ميخائيل بهذا العنوان الصادم والاستفزازي، يترجم سعي

الكاتب في الإبلاغ والتوصيل إذ إن لفظة (البوق) وما تحمله من اهمية في الديانة اليهودية ، تحمل بعدا رمزيا موحية بنرجسية مفرطة، ويتم عن (إعلان صريح وواضح عن النداء المستمر بعشق وحب الاخر المبني على التفكير والتدبير والقناعة الذاتية بعيدا عن كل كوابح الارتهانات الحياتية ومشاكلها خاصة الصراع العربي الاسرائيلي الذي حاول الاديب جاهدا الابتعاد عنه وفسح المجال امام الخيال ؛ كي يعطي جمالية ، تبدا بكلمة (ربما) ، (ربما نحب بعضنا وينتهي الصراع القائم بيننا) ، ربما نبدأ من جديد وننسى الاوجاع والالام ، ربما ..... ، ربما .....، وقد نالت هذه الرواية اهتمام الباحثين والدارسين فكثرت الدراسات حولها ؛ لذا أردنا أن ندرس جانبا من جوانب الابداع فيها، فوجدت الكاتب يرى: أن الحب هو إكسير الحياة، وأن الحب قادر على تغيير الكثير من ظواهر ومظاهر حياة الإنسان، وقد حقق الحب في الرواية انتصارا على الحقد والكراهية المطبوعة على قلوب ابطال الرواية فانقلب بفضل الحب والإيمان إلى ذات وديعة داعية إلى السلام والمحبة،لكن لعنة الحرب قد منعت البطلين من الاستمرار بحبهما ، ومن هنا جاء عنوان البحث (قراءة في رواية " بوق في وادي " لسامي ميخائيل).

وقد حاولت هذه القراءة النقدية أن تبرز القيمة الموضوعية للرواية، ضمن منهج فني تحليلي يؤكد على دراسة النصوص التي لها علاقة بالحب وأبعاده، متمنين أن تكون إضافة جديدة إلى الدراسات التي تناولت الأدب الإسرائيلي، والله ولي التوفيق

إن اسم الرواية (بوق في وادي)، العنوان يوحي بوجود شخصان محبان قد يصرخان بلا صوت ، في وادٍ غير ذي ناس مستعدون للاصغاء. حب غير مستحيل أيضا وهل من الحب مستحيل؟ ولماذا مستحيل؟ وكيف يكون حبا وهو مستحيل؟ فهل يعني الاديب أن البطلة وحبها للبطل هو حب ممنوع؟ وهل يعني الاديب أن لا حب في الحياة حقيقي ؟ هذه أسئلة نترك الإجابة عنها إلى سامي ميخائيل وبطلته هدى وعشيقها اليكس .

التمهيد : سامي ميخائيل (١٩٢٦)

أحد أشهر أدباء اسرائيل. يملك إرثاً أدبياً وثقافياً ضخماً. و له بالغ الأثر في الحياة الأدبية والثقافية الاسرائيلية .وقد تنوع أدب ميخائيل ما بين الرواية والكتابة المسرحية. كما اهتم بالثقافة والأدب الشرقي. واطلع على كتب عديدة. فكان واسع الأفق مقبلاً على العلم، متعمقاً في دراساته[١]. ولد في بغداد عام ١٩٢٦ . كان في أثناء دراسته الثانوية، في أوج الحرب العالمية الثانية، ناشطا من أجل حقوق الإنسان. في بغداد، كتب للصحافة العراقية .وفي إسرائيل، كان صحفيا وعضو هيئة تحرير جريدة "الاتحاد"، جريدة الحزب الشيوعي الإسرائيلي . خرج في العام ١٩٥٥ من صفوف الحزب الشيوعي ومن حقل الصحافة ليعمل كخبير مائي في سلطة المياه

لمدة ٢٥ عاما[٢] .وفي العام ١٩٧٤ صدرت روايته الأولى، "متساوون ومتساوون أكثر"، ومنذ ذلك الوقت أصدر روايات وكتبا للشبيبة والأولاد ومسرحيات وكتب مطالعة، من بينها الروايات "فيكتوريا"، "حماية"، "بوق في الوادي"،عايدة" وغيرها. تُرجمت كتبه للغات عديدة وتمّ تحويلها إلى أعمال مسرحية وتلفزيونية وسينمائية. في مجمل إنتاجه خصص ميخائيل حصة لا بأس بها للتحدث عن "الآخر" وأحدث ثورة التعددية في الأدب الإسرائيلي[٣].

منحته أربع جامعات إسرائيلية لقب دكتوراه فخرية في الفلسفة تقديرا له. حاز على جائزة برنر وجائزة رئيس الدولة للأدب وجائزة "أمت" وجائزة "أكوم" وعلى نيشان هانس كريستيان أندرسون وغيره. يشغل منصب رئيس جمعية حقوق المواطن في إسرائيل[٤].

نتاجاته الادبية

روايات

- متساوون ومتساوون اكثر (١٩٨٤).
- عاصفة بين النخيل (١٩٧٥).
- ملاذ (١٩٧٧).
- حفنة من الضباب (١٩٧٩).
- اكواخ واحلام (١٩٧٩).
- بوق في وادي (١٩٨٧).
- حب بين النخيل (١٩٩٠).
- فكتوريا (١٩٩٣).
- شياطين حمراء (١٩٩٣).
- الجناح الثالث (٢٠٠٠).
- مياه تقبل مياه (٢٠٠١).
- حمام في ميدان الطرف الاغر (٢٠٠٥).
- عايدة (٢٠٠٨).
- رحلة البجع (٢٠١١)
- ماس في البرية (٢٠١٥).
- حروف تسير الى البحر (٢٠٠٩).
- صرصار يغني في الشتاء ايضا (٢٠١٢).

- سقوط وهبوط (٢٠١٤).

ابحاث تاريخية

- هؤلاء اسباط بني اسرائيل (١٩٨٤).
- حدود الروح (٢٠٠٠).
- الشعور الاسرائيلي (٢٠٠١).

مسرحيات

- اشباح في القبو (١٩٨٣).
- التوأم (١٩٨٨).
- هو (١٩٩٩)[٥]

المبحث الاول : تحليل رواية " بوق في وادي "

تُعد رواية «بوق في وادي»، من روائع الروايات الأدبية للأديب الإسرائيلي سامي ميخائيل ، فهي رواية تمثل وتصور قصة حب متكاملة من منظور فلسفي تراجيدي يعبر عن الروح العاشقة للمحبة. صدرت عام ١٩٨٧ عن دار نشر " عام عوفيد ". وتضم ٢٢ فصلا و ٢٧٠ صفحة من القطع المتوسط.

وهي ذات أهمية في حركة التغيير والاندفاع في الأدب الإسرائيلي، وكان لها أيضا بالغ التأثير فيه. وينظر النقاد إليها، على أنها مزيج حبكة أدبية قوامها: الصراع العربي – الإسرائيلي ، الجمال والسعادة والحزن والالم [٦].

وتتطرق الرواية الى حياة العرب في إسرائيل أو ما يسمون بعرب إسرائيل أو عرب ٤٨ ، وعلاقتهم مع اليهود من وجهة نظر شابة عربية مسيحية تقطن في وادي نسناس بمدينة حيفا. وتدور أحداث الرواية حيال قصة حب تجمع بين يهودي شاب من مهاجري روسيا يُدعى " اليكس "، سكن في الطابق العلوي لعائلة الراوية " هدى " ، وكان هذا الشاب من هواة النفخ بالبوق .

ان الوصف الداخلي – الذات – لبنية النص الروائي للرواية ، قد تم من خلال تلاقي الجسد بين شخصيتين اثنيتين متناقضتين بالدين والمذهب ، هما الفلسطينية " هدى " والاسرائيلي " اليكس " والذي مثل الاخر ، وهذا المشد – بلا شك – يمثل نسقا تتجاوز فيه الشخصية الفلسطينية حدود الواقع . وهو نسق يجسد هذا الواقع وما ينتج عنه من تمرد على النظام الاجتماعي ولا سيما الاسري ، فضلا عن الدلالة النسقية المضمرة التي تعبر عن الخلاف بين الطرفين العربي – الاسرائيلي . ولعل رغبة الروائي في القبض على العوالم الموجودة في المجتمع الاسرائيلي تجعله

يسلك هذا الطريق في رفع الحجب عن شخصياته ، وتشخيص الخلل في ذواتها الخفية ، التي وبلا شك قد شكلت بؤرة توتر عميق تؤثر على مسارها في الحياة ومكانتها في المجتمع . فيكون الممر الاصلح لهم هو تقشير ذاته القريبة منه او جعل الشخصية تحل محل الذات ؛ كي يتسنى له تحويل الامهم الى كائنات مرئية . أي انه بتحويله للذات الى شخصية فانه يعرض ماسي الاخرين ويستمع الى جراحاتهم التي تأبى عن فضحها. وانطلاقا من هذه الرؤية يعرض الكاتب صورة مصغرة للمجتمعين العربي – الاسرائيلي مازجا فيها احلامه واهدافه ليداعب قسوة الواقع ومحاكات التحتيات الاجتماعية بلغة فجة وهي ابرز ما في رواية (بوق في وادي) من تجريب . ويختار الكاتب شخصية واعية يرمي من خلالها فضح ما يسكت او يتغاضى عنه الناس وينكرونه عبر الانساق الثقافية التي سعت الرواية للتركيز عليها والبوح بها.

عنوان الرواية :

تحمل الرواية عنوانا يتكون من جملة مبتدا وخبر (بوق في وادي) ، والعنوان له دلالته الخاصة إذا يعد العنوان نصأ مركزا ووسيلة كاشفة عن أعماق النص الدفينة ودواخله ومكنوناته الأخرى، إنه أول لقاء بين القارئ والنتاج الادبي ، وفي الحقيقة ، يعتبر العنوان مضمون النص الجاذب للقارئ ، فضلا على انه يدل على مكنونات النص ومحتواه [٧].

(بوق في وادي) هو عنوان تكفل بتسمية عمل الروائي سامي ميخائيل، وهو عنوان استفزازي، إن القراءة الأولى للعنوان تظهر لنا الفراغ الكبير والعاطفي للبطل، في حين القراءة العميقة والمتأنية للرواية تظهر أن هذا ليس هو المقصود من هذا العنوان، إلا أن هذا القصد لا يظهر إلا بعد الانتهاء من قراءة الرواية كاملة.

إن رواية (بوق في وادي) تعد بمثابة دعوة إلى مناصرة فكرة حل الصراع والسلام في ظل سياسة تعسفية اسرائيلية ترى العالم من منظور أحادي الجائب ، فالكاتب سامي ميخائيل حانق وغاضب لما تجده من ظلم وقتل في كل مكان، لذلك يقول: (إن رواية بوق في وادي ولدت عندي في حالة من الغضب والانزعاج، إذ كنت غاضبا جدا من البشرية التي تتصارع دون توقف، من القساة اللامبالين، من حمام الدم المسفوك في كل مكان، من سلطة الفاسدين ومن قدر المستلبين، فانا اثور باسم الثكلى والمحرومين والمنكدين جميعهم كنت في حرب ضد الحرب، وفي صرخة ضد جعجعات السياسيين الكاذبين، ، كنت أدرك تماما وأيقن في لحظة إيمان لا يعتريها بالشك، أنني أقامر على طاولة الفنتازيا بكل ألأمي ومعاناتي، وأثني أراهن على الاستشراف لرسم مستقبل يخلص لحملة الحب التي أؤمن بها)[٨].

زمن الرواية:

وفترت الرواية هي بالتحديد عام ١٩٨٢ (قبيل اندلاع حرب لبنان الأولى) .

مكان الرواية :

لقد اختار الاديب وادي نسناس في حيفا مكانا لروايته حتى يبرر الوقائع الخيالية الواردة فيها.

شخصيات الرواية

هدى : هي ابنة لعائلة عربية مسيحية تقطن في وادي نسناس بحيفا ، وامها – التي تسمى على طول الرواية باسم " ام هدى " تعيش وحيدة بعد موت زوجها مع والد زوجها " الياس " . وتعيش هدى مع شقيقتها " ميري " في الحجرة ذاتها . والبيت هو مؤجر من " ابو نخلة " ، وهو إنسان ذو نزعة استفزازية ومتطفل(٩).

وهدى شابة جميلة تبلغ الثلاثون عاما ، ذات وجه ساحر وقوام فارع وهيئة لم يقع البصر على أتم منها جمالاً وروعة. وهي ذات منطق حاد ووجه مشرق متوهج بالفتنة والذكاء، يطفح بالبشر والرضا. بيد انها منعزلة عن الناس ، وهذا الانعزال تسبب لها بالام نفسية شديدة ، وهذا الأمر قد جاء على خلفية وصف صديقها السابق " بهيج " بأنها امراة جاحدة وانطوائية . لذا فانها التجأت الى الاختلاط بالمجتمع الاسرائيلي لكنها غير مقبولة فيه. ويتم التعبير عن حقيقة تعلقها بالمجتمع الإسرائيلي بولعها مع قصائد يهودا عميحاي ، إذ أنها تحب منذ الصغر القصص التي تملأ بها أوقاتها التي ليس لها من الفراغ الا النزر اليسير. ولا تقبل من الكتب الا الذي يشعرها بقيمة وجودها، ويزيد من غبطتها وسعادتها، ويعمق من سمات الاخلاص والصداقة. وهذا ما وجودته باشعار الشاعر الإسرائيلي " يهودا عميحاي " الذي يرمز إلى الهوية الإسرائيلية في هذه الرواية.

أما **ميري**: اخت هدى الاصغر ، فهي اصغر منها بعامين ، وهي شابة عديمة الخبرة في الحياة وعاطلة عن العمل . وهي شابة جميلة المظهر ، تعشق الحياة ، جريئة وقوية ، لا تعترف بالعلاقات المحرمة أو العيب ، إذ لا تخجل من اقامة علاقات جنسية قبل الزواج. ففي البداية وقعت بغرام " زهير " وهو شاب مدلل مجرم وهو نجل ابو نخلة صاحب البيت ، ونتيجة للعلاقات المتكررة ، حبلت ميري منه . وطبعا رفض كلا من جدها ووالدتها الزواج من شاب مسلم ومجرم

، لذا اصروا على زواجها من " وحيد " وهو من اقارب العائلة ، وأيضا مسيحي قروي جاهل ولكنه ميسور الحال . إن شخصية ميري هي شخصية محورية في الرواية ، بيد إن الاختلاف بين الاختين يعزز من مكانة بطلة الرواية هدى ويضيف إليها ميزة البطولة.

اليكس : وبعد فترة وجيزة من بداية الرواية يصل مؤجر جديد إلى منزل ابو نخلة ، وهو مهاجر يهودي من روسيا ، شاب هادئ يتكلم العبرية بصعوبة فضلا عن كونه قصير القامة وقوي جدا ، واسمه " اليكس " . ويعتمر اليكس نظارة طبية وعازف بوق ، يدرس في اكاديمية حيفا صباحا ويعمل مساءا حمالا في الميناء ، منذ دخوله إلى البيت ، شعرت هدى بشعور غريب حياله ؛ إذ بدات تستمع إلى عزفه الذي ناغم قلبها ، ورويدا رويدا سقطت في حبه . طبعا شجعتها اختها ميري على هذا الأمر وبمباركة جدها الياس اقامت العلاقة مع الشاب الجديد . ومن ناحية اليكس فانه قد اعجب بهدى ، وبعد إن دعته إلى رحلة سويا وبعد العديد من اللقاءات اقاما علاقة جنسية ؛ لتشعر هدى ولاول مرة بانوثتها ، ولتحمل بعد ذلك .

وفي بداية عام ١٩٨٢ استدعي اليكس للخدمة العسكرية " خدمة الاحياط في الجيش الإسرائيلي " ، وقبيل التحاقه بيوم واحد قامت هدى بكي بزته العسكرية وحينها شعرت هدى شعورا غريبا حيال اليهودي الذي سيقاتل العرب ، أبناء جنسها ، أو إذا سقط اسيرا بايديهم ماذا سيؤول إليه مصيره . وحينها اعلمته بحملها ، صعدت هدى إلى غرفة اليكس ونامت على سريره ، ورات في منامها كابوسا حيال والدة اليكس القاسية.

في نهاية الرواية تقبع هدى في المقبرة ، بعد وصول جثة اليكس ودفنها فيه ، اليكس الذي تركها مع طفل في بطنها مصاحب بالالام كبيرة حيال مصيره ، فقد خشيت هدى من البوح بهوية الطفل الحقيقية " اليهودية " ؛ فإذا ربته كعربي ، يكون مرفوضا بالمجتمع الإسرائيلي ، ولكن على الاقل لا يلتحق بالحرب في الوقت القريب . أما إذا ربته كيهودي ، سيحاول طوال حياته اثبات هويته اليهودية حتى ولو كانت امه عربية وسيلتحق بالحرب في نهاية المطاف ، وهنا يترك المؤلف النهاية مفتوحة .

من خلال اللقطات الحوارية التي سندرجها يمكننا ان نستشف منها النسق السياسي المتلائم مع الايدولوجيات بين الشخصيات المختلفة في الرواية . وبهذا يرمي الكاتب على توظيف شخصيات مختلفة تستقطب كل ما يثير الاندهاش في المالوف ، أي انه يمثل خروقات غير مالوفة للعادات

والتقاليد والمنطق. ويعكس في تجلياته المتباينة التمرد الشهواني على حساب المنطق والواقع الاجتماعي.

تجسيد الرواية في السينما والمسرح

في السينما

٢٠٠١

فيلم (بوق في وادي) – سيناريو وإخراج سيلبا ولينا تسفلين. وتمثيل: ألكسندر سيندروفيتس ورائدة ادون وعرض في مهرجان الافلام العالمي في حيفا وحصل على المركز الأول ، وكذلك نال العديد من الجوائز : اهمها جائزة الاكاديمية الاسرائيلية للدراما ، ومهرجان السينما الاسرائيلية في نيويورك ، وكذلك المركز الأول في افلام الحب والرومانسية في روسيا ، وجائزة أخرى في مهرجان جنيف.

في المسرح

أعمال مسرحية كثيرة جسّدت رواية (بوق في وادي)، وكان من بين أبرزها وأولها:

1988

قدمت مسرحية (بوق في وادي)، للمرة الاولى على خشبة مسرح بيت ليسين، بإخراج " شموئيل هسفري " ونالت استحسان الجميع

١٩٩٠

عرضت مسرحية " بوق في وادي " عبى خشبة مسرح الشباب الوطني بإخراج " رامي دانون "

١٩٩٨

عرضت على خشبة مسرح حيفا، بإخراج " شموئيل هسفري ".

٢٠٠٦

عرضت مرة أخرى على خشبة مسرح الشباب الوطني بإخراج " رامي دانون ".

٢٠١٦

في شهر يناير عرضت على خشبة مسرح حيفا، بإخراج " شموئيل هسفري "[١٠].

بين الواقع والخيال

الحب عاطفة مشتركة بين جميع البشر، وليس فكرة تتعدد فيها المدارس، لكن الملاحظ ظهور ما يشبه المدارس الفكرية في الحب.. وهذا من العجيب ! فثمة الحب العذري والحب الحسي والحب

الأفلاطوني والحب الصوفي وأغرب من هذا ما ذهب إليه بعضهم حين تحدث عن انتقال ألوان من الحب من اليونان إلى الشرق .[١١]

وتحدّث آخرون عن ارتباط ألوان من الحب بأجناس بشرية خاصة، وكأنه لا يرتبط بعاطفة إنسانية مشتركة بين البشر .ومهما تعددت الآراء في الحب، فأعتقد أن ماقيل وما كتب عنه لا يخرج عن هذه الأمور.[١٢]

من خلال الوقوف على الرواية التي تتسم بالحب والإيجابية والوقوف على أرضية هذه العلاقة يتأكد لنا إننا أمام عاشق يفلسف الأشياء والمرئيات، ويضمها إلى ذاكرة عدسته حيث تظل تدور ضمن إطار الحب والشفافية، وأن الاديب يقف إزاءها موقفا ايجابيا، ومن السمات التي يتميز بها هذا النوع من المسميات نلاحظ شيوع المواضيع التي تتصل بالطفولة والشباب والذكريات، وصعود هذه المواضيع من فرديتها إلى حالة نابضة بالشفافية والحضور واتساع دائرتها بحيث شملت المتلقي أيضا، واتخاذ هذه المواضيع بعدا أسطوريا من خلال الاستعانة بالرموز التاريخية والأساطير لضخها بصورة أكثر بصفات البقاء والتغلب على الموت وإعطائها بعد مكاني وزماني؛ لكي يعم التأثير الإيجابي على نحو أشمل لأن الاديب هنا يريد لمساحة الحب أن تتسع وتشمل الآخرين، كي تترسخ هذه الصورة الإيجابية في ضمير الأخر من خلال محاولة الشاعر جعل موضوعاته الأثيرة أكثر حبا، ولكي يقف القارئ إلى جانب هذه النماذج فإنه يسعى لجعل شخصياته أبطالا تراجيدين، وخلق حالة يشترك المتلقي مع الروائي في أحد أطراف المعادلة من خلال الشخوص ونقلها من عاديتها إلى مساحات أهلة بالحب والإيجابية والفعل.

تشكل رواية (بوق في وادي)، ثمرة قصة حب عاشها شابان من طائفتين مختلفتين، وموضوع الرواية هو الحب الذي لا يصل الى مبتغاه، شاء سامي ميخائيل في روايته، أن يرقى بالحب حالا على حال.. وكؤوسا مترعة بالوجد والتفاني الكلي بين هدى واليكس منذ التقيا للمرة الأولى في منزلهما. وعادت هدى وهي غارقة بالافكار، من دون أن تعرف وقعا لزمن أو إحساسا بمسافة، لأن عينيها تصطليان بعيني اليكس الساهرتين. فهدى البطلة ، الشابة العربية ذات الجمال كانت عبارة عن جسد بلا روح يسير في الشارع ، وتعاني من مشاكل نفسية واضطرابات لا حصر لها ؛ الأمر الذي جعلها سخرية في نظر الناس ، ولم تجد خلاصا إلى بالتقرب إلى اليهود كي لا يسخرون منها أو من وضعها البائس ، إذ افصحت عن حالها هذا قائلة :

" אין לי ידידות וידידים ערבים. אני משתדלת להיות ישראלית יותר מן היהודים עצמם ...ועכשיו יהודה עמיחי קרוב ללבי יותר מכל משורר ערבי"(١٣).

" ليس لدي أصدقاء أو صديقات عرب . أنا احرص إن اكون إسرائيلية أكثر من الإسرائيليين أنفسهم .... وألان إن يهودا عميحاي هو اقرب شاعر إلى نفسي أكثر من أي شاعر عربي ".

وهذا الشعور نابع من علاقتها بصديقها القديم " بهيج " الذي اقنعها بأنها امرأة غريبة الأطوار ، ولن تكون امرأة عادية أبدا. أما الاهل والجيران فكانو ينظرون إلى هدى " امرأة تخلفت عن القطار – أي سبقها العمر " وأصبحت " عذراء عجوز " ولن تتزوج أبدا. إن هذه الانطوائية لسنوات تسببت بسوء حالتها النفسية ، إذ اصيبت بالكابة والام نفسية وارق مستمر . وتصف هذا بقولها :

" פעולתם של נדודי שינה ניכרת בפני ורוכלים ...סבורים עלי שאני מסוממת"(١٤).

" إن تاثير الارق واضحا على وجهي والبائعون .... يظنونني بانني مُخدّرة "

كل هذه الآلام سببها بهيج ، وهو حبها الأول الذي لم تستطع نسيانه ، بهيج هو شاب عربي مثقف ، كان متفرد الرأي ومستبد ؛ وكان أيضا يقيم حفلات احتساء الخمر والمخدرات في بيته ، الأمر الذي أثار هدى من علاقته وبدأت الصراخ عليه وبدا هو بالادمان على الخمر ضاربا بعرض الحائط نصائحها ، لذا بدا باقناعها بأنها امرأة شاذة عن باقي النسوة وانها امرأة معقدة وذات عاهة نفسية لا دواء لها .

وبعد إن استاجر اليكس الشقة التي تعلو شقة هدى . وقعت ناظريها اول مرة على اليكس اثناء استئجار الشقة و تعرضه إلى حادث سرقة ؛ إذ سرق اللصوص نصف راتبه ، وهنا أثار شيئا في داخلها . وشعرت بأنها ستقع بغرامه ، وهذا ما شعر به جدها " اليأس " أيضا .وفي إحدى المرات وقع خصام بين ميري شقيقة هدى وعشيقها " زهير " وبعد سماعه للصراخ تدخل اليكس في الصراع فطعنه من قبل زهير ، ولكنه لقنه درسا كبيرا واستطاع من اخضاعه له . قوته هذه قد اعجبت هدى كثيرا ، واخذا بالتجوال سويا والخروج معا . وعلى عكس الجميع ، كان اليكس ينظر إلى هدى بأنه شابة جميلة وفاتنة ، ولم يتوقف عن النظر إليها.

إن المحب يكون في المظهر كسائر الناس ، لكنه في الحقيقة غائب عنهم في طلب مراده ، ويستوي عنده الموت والحياة ، ما دامت روحه متعشقة لذات حبيبه مسلمة له في جميع الأمور . فحياته فناؤه ، وفناؤه حياته ، ولو علم الناس حقيقة البقاء في حضرة الحق ، وانكشف لهم الحجاب لم يزاولوا أمراً من أمور الدنيا ، وتراموا على أعتاب البقاء لما فيه من السعادة[١٥].

فما دام المحبوب هو الحق فإن العارف يظل دائم المشاهدة له ، وكلما ازداد مشاهدة زاد هياماً ووجداً فالاشتياق يهيج باللقاء ، ويطمئنه الوصال ، وتشعله المعاينة ، فهذا الحب ليس كالحب العادي الذي يسكن باللقاء بل هو على العكس يهيج باللقاء ويزداد ، وكلما اجتمع العاشق بمحبوبه أدرك أنه لا يشبع من مشاهدته ، ولا يروي ظمأه منه ، فكلما نظر إليه زاده وجداً وشوقاً مع حضوره معه[١٦].

هدى واليكس بوصفهما رمزا

يعد كلا من هدى واليكس أكثر من كونيهما عاشقين عاديين . فيمكن إن نرى من خلالهما العديد من المؤشرات على الصدع بين المجتمع العربي والمجتمع الإسرائيلي . وحتى بعد حدوث التقارب ، وبعد حصول فرصة بين المجتمعين وتجاوز الحقد ؛ حصلت الحرب وبدا تقديم القرابين . أما اليكس كان يشعر بالغربة في إسرائيل ، وانه المنفصل وغير مرتبط بأحد، وهدى ، بحبها تعطيه نوعاً من المرساة التي تربطه بالأرض. إنه هنا يرى فينتقد ما يرى ويحس به فهو يمثل الطرف المعارض من العملية الحياتية التي يقف منها موقفا سلبيا، نستطيع أن تصفه بموقف الكراهية لأن ما يراه وما يحس به مدان و منتقد ولا يتماشى مع المبادئ التي يحملها في أعماقه من خير وإنسانية والوقوف إلى جانب المضطهدين وشرائح المجتمع الأخرى بقوله :

" **לפעמים אני שואל את עצמי מה אני עושה כאן. לפעמים אני כאילו מטייל בלילה בבית קברות. לפעמים נדמה לי שאף אחד לא מבין ולא שומע אותי. יש ימים שנדמה לי שכל מה שאני זוכר וכל מה שחשוב לי אף פעם לא יהיה כאן. יום אחד הרגשתי כל-כך זר פה, שכמעט חשבתי לגמור עם זה. בגללך אני רוצה רק לחיות שוב**"[١٧].

" اسال نفسي بعض الأحيان ماذا افعل هنا . وغالبا ما أحس بنفسي بأنني اتجول في المقبرة ليلا . يُخيل لي بعض الأحيان لان أحدا لا يفهمني ولا يسمعني . في بعض الأيام أظن بان جل ما

اذكره وكل ما يهمني لن يكون هنا أبدا . في احد الأيام شعرتُ بأنني غريب هنا ، وفكرتُ بانهاء هذا كله . وأنا أريد البقاء هنا مجددا بسببكِ ".

من ناحية الحظ ، إن اليكس الذي يشعر بالغربة قرر الانتحار بالالتحاق بالحرب بدون تردد . إذ لم يجد شيئا – ما عدا هدى – يستحق الحياة لأجله ، فبدا من دار الأيتام الذي ترعرع فيه ، المشاكل المادية التي خلفها له والديه ، ضياع عشيقته الأولى " اسيا " ، الغربة في فلسطين ، أعمال التحميل في الميناء لسد نفقات دراسته. كل هذه الأمور دفعته لاختيار سبيل الحرب .

أما هدى ؛ فقد عانت الامرين : فبعد تجاوزها العديد من الامراض النفسية والصدمات والخوف والالام ، ورجوع النشوة الجنسية لها بعد حبها لاليكس ، رجعت مرة أخرى إلى شعور الوحدة بعد موت اليكس. لذا يعد كلا من اليكس وهدى رمزا للألم والضياع ، أراد الكاتب بهما عرض الحياة لكلا الشعبين العربي والاسرائيلي .

إذ ترمز هدى إلى البنت الفلسطينية ، التي ترتبط بالأخر من ناحية المحتل مع الخاضع للاحتلال ، و تكون نهاية هذه العلاقة نهاية مأساوية. ويبرز هذا جليا في تفكيرها بإمكانية اجهاض ابنها التي حملت به من اليكس : إذا عاش في وسط الشارع العربي ، سيشير إليه الجميه بالبنان ، بأنه ابن ليهودي . وإذا تربى في كنف الشارع اليهودي ، سيلتحق بالحرب ببلوغه سن الثامنة عشر ، ربما سيُقتل فيها أو سيقتل أبناء جلدته لكونه سيُنتخب لمهمات وحدة خاصة ، وهنا سيحرص طوال حياته على اثبات هويته . فإذا كان الفرد هنا لام عربية سيكون غريبا بين الطائفتين العربية واليهودية.

النهاية المفتوحة للرواية

إن ذروة إحباط هدى ترتفع وهي تقف عند قبر أليكس حاملة جنينها في بطنها. حيث تطرح سؤال حول ما إذا كان يجب إسقاطه أو إنجابه ، وإذا كانت ستلده ، فماذا سيكون؟
فإذا ولدته في كنف المجتمع الإسرائيلي ، سيكبر ويلتحق بالجيش ، وسينضم إلى الوحدات الخاصة ويقاتل العرب ، أو ربما يقاتل أحدا من اقربائه . ولا يُعرف مدى تقبله بالمجتمع الإسرائيلي لكون أمه عربية ، ووفقا للشريعة اليهودية إن دين الابن يكمن ويُحدد في أصل الأم.
وإذا تربى في الوسط العربي ، سيخسر أولا علاقته مع اجداده اليهود . وأيضا هناك ضبابية في كيفية تقبله في المجتمع العربي ، فهل سيتهم بأنه لقيط أو غير شرعي لاب يهودي ؛ لكون المجتمع العربي يحدد أصل الابن من أبيه .

إن هدى نفسها ستُعد مومسا في الجانب العربي ، وبالتأكيد لن تحصل على فرصة بالزواج من شاب عربي أبدا ، سواء أكان مسلما أو مسيحيا . إذ ستعد امرأة مشبوهة من كلا الجانبين . والنتيجة أنها مجهولة الهوية في المجتمعين كلاهما.

والسؤال الذي يثير كلا من هدى وعائلتها والقرّاء حتى ، هل سيكون تابعا لقومية أمه المناهضة لليهود ، أو لقومية أبيه ويبقى مصارعا للعرب طوال حياته ؟. بالطبع سيكون هذا الولد غير مرغوب فيه بكلا المجتمعين على حد سواء ودائما ما يتهم بالتجسس لصالح الآخر. وفي إحدى اللقاءات بين الطرفين يعبّر اليكس عن خشية وخوف هدى قائلا :

"**אני לא מבין מה מפחיד אותך יותר، שאני מסוכן לערבים או שהערבים מסוכנים בשבילי**" (١٨).

" أنا لا افهم ما يخيفكِ أكثر ، هل كوني خطرا على العرب أو كونهم خطرون عليّ".

ان هذا المشهد الذي انتجه الكاتب هو تمثيل ثقافي واضح ينتج نسيجا مع الافكار المتناقضة بين الطرفين ، اشبه ما تكون بلوحات السرياليين الذين يرون الواقع مقلوبا راسا على عقب، صحيح ان الروائي لا يصور الواقع انما يصور ما سيؤول اليه هذا الواقع المبني على الخطا ، بيد ان سامي ميخائيل قد صوّر ما فوق الواقع بدرجة قاسية ومقصودة داخل الشخصيات لتبدو وكانها ظل فني للكاتب.

إن الصراع والصعوبات التي اصطدمت بها عائلة هدى في زمن الحرب بالتقرب من اليهودي اثّر عليها بصورة كبيرة ، حيث تذهب هدى إلى عملها خلسة ، وتوقف الجد من الذهاب إلى المقهى ، والام أخذت تطلب من الجارة جميلة إن تقوم بأعمال التسوق

"**כמעט כל משפחה בואדי יש לה קרובים בלבנון...כבר ידעו על דודנים ואחיינים שנפלו שם...**" (١٩).

" كل عائلة في الوادي تقريبا لها اقرباء في لبنان ... ويعلمون أيضا عن مقتل واستشهاد أخوانهم واقربائهم هناك "

وعليه فان سامي ميخائيل قد ترك الباب مفتوحا ، وحتى نهاية الرواية قد تركها مفتوحة أيضا ، وبدون أية اجابة حيال مصير هدى وابنها . إن الرواية تكشف صعوبة الحياة في المجتمع الإسرائيلي ، على وجه الخصوص إذا أحب شخصا عربيا امرأة إسرائيلية أو العكس . حيث تتحول هذه العلاقة إلى قنبلة موقوتة قابلة للانفجار بأي وقت وحين . لذا اختار المؤلف إن

تكون النهاية مفتوحة مرافقة بسؤال مفاده : هل يمكن إن ينجح هذا اللقاء ذات ؟ ، هل يمكن نسيان الاحقاد والضغائن بين الطرفين ؟ فحل كهذا لا يمكن إن يكون من طرف واحد مطلقا.

دلالة الاسم "بوق في وادي"

جاء تسمية الرواية بهذا الاسم على خلفية عزف اليكس بالة البوق ، فهذا العزف هو من أثار قلب هدى واسرها إليه . إن البوق يمثل موتيفا ، والموتيف هو رمز يرمز إلى عشق المجتمعين العربي واليهودي للموسيقى ،الا إن البوق الغير مالوف في الموسيقى العربية قد ازعج الجيران واسر قلب هدى . إن صوت البوق يمثل الرياح الجديدة والغير مالوفة التي هبت على الوادي . وأيضا ترمز إلى المحاولة في تغيير وجهات النظر السائدة فيه ، بان الحب الذي اقيم على صوت البوق يمكنه إن يقرِّب بين الشعبين العربي والاسرائيلي.

إن المزج بين هذين الاسمين: (البوق + الوادي) ، يخلق عدم الانسجام والصدمة والحيرة. إذ يُنفخ في البوق في استعراض أوركسترا الغنائية أو فرقة ما ، أو حتى في غرفة خاصة في المنزل ، لكن هذا المزيج ، المتكون من صوت البوق ، في وسط وادي وصوت الصدى العارم فيه ، يخلق شعورا بعدم الراحة. وفي الواقع ان أليكس ببوقه يكسر هدوء الحياة في حي وادي النسناس. اذ إن شخصية أليكس ، وأصله اليهودي وآلاته الموسيقية ، تجعل الناس فس هذا الحي يتساءلون عما يدور حولهم.

ويرمز البوق بشكله وشخصيته أيضًا إلى سمات ذكورية جدًا. فهو يطابق شخصية أليكس ، ونظرا لشكله المخروطي فانه يعد رمزا للجهاز الجنسي الذكري ، والـيكس القوي ، مفتول العضلات مع صوت البوق. أما الوادي ، من ناحية أخرى ، يعتبر رمز المؤنث (الأخدود في الأرض ، والمياه). وهكذا فإن الأصوات التي تخترق قلب الحي العربي تنجح في غزو قلب فتاة عربية وليس قلبها فحسب ، بل جسدها أيضاً.

والبوق هو أداة التعبير الخاصة بأليكس العاطفي. وهو يعزف بها عندما يفتقد حبيبته الروسية ، (آسيا) ، ويريد أن يعزف بها للتعبير عن سعادته من خلال علاقته المثيرة مع هدى في إيلات.و يرمز صوت البوق ايضا إلى النصر – كما هو الحال في بوق الحرب.

وهناك أيضا تشابه بين البوق وبين اليكس . وهذا الأمر يتضح جليا وعلى وجه الخصوص بعد مقتل اليكس ؛ إذ قدمت أمه واخذت البوق من عند هدى لتتركها وحيدة كما فعل ابنها من قبل. وهي بفعلها هذا كما لو أنها قطعت العلاقة التي تربطها مع اليكس. ويمكننا ايضا أن نرى في البوق أيضا رمزا ينذر للنهاية المؤلمة – لأنه، مرة أخرى، يرتبط البوق مع الحرب، ويعزف به

أيضا في عملية خفض العلم الى نصف الصاري كمراسيم تذكارية للقتلى الذين سقطوا في الحرب.

تتميز هذه نهاية الرواية بجدلية الموت والبقاء، أي أنها تتحرك ضمن سياق ثنائي تجسد فيه الجمال والقبح ووجود صراع بين هذين المكونين، فالطفولة ليست تلك الصور التي تتسم بالبراءة والدهشة فقط، بل هي عالم ضاج بالحيوية والدفء من شأنه التأسيس والبناء، ولا هو كيان هندسي تقبع فيه هدى بماضيها الذي لم يكن بهذه القسوة ولا بهذا الشكل المتردي، وعالم القبور ليس ذلك الحصن المغلق الذي يقدمه لنا على شكل ماضي مقيت يثير القلق.

إن ميزة الرمز ، أي رمز هو بالامكان تفسيره مع عدة جوانب . وهكذا فان العنوان قد بقي – مفتوحا ؛ أي انه يثير العديد من التساؤلات المتكررة في الرواية .

المبحث الثاني: وصف المجتمعين : العربي والاسرائيلي في الرواية

جاء وصف المجتمع الإسرائيلي بصورة قليلة مقارنة بنظيره العربي . إذ لم يظهر في الرواية أي اسرائيلي ماعدا اليكس – الذي يمثل المهاجرين الإسرائيليين الجدد ، واصدقاء هدى في العمل . حيث يتم تقديم موظفي مكتب السفريات على أنهم الصورة النمطية الإسرائيلية المرتبطة دائماً بالجيش . فـ " عادينا " زميلة هدى في العمل هي ارملة جندي اسرائيلي ، قضى نحبا في حرب عام ١٩٧٣ ، أراد ابنها الانضمام لسلاح المظليين ؛ لذا وجدت نفسها مجبرة على السماح له للانضمام . أما " بوعز " صاحب مكتب السفريات ، فكان يحتفظ بصورة ابنه الذي انضم إلى الجيش على طاولة العمل كما لو كان نجما سينمائيا :

" **בג'יפ צבאי משקפי רוח על מצחו תלתליו צהובים، בעינו מבט של עייפות בוגרת ועל שפתיו חיוך של ילד**"(٢٠).

" في سيارة جيب عسكرية مع نظارات واقية على جبينه ، كانت تجعداته صفراء اللون ، وكان لديه نظرة التعب وابتسامة الطفل على شفتيه".

تعلم هدى جيدا مخاوف اليهود على ابنائهم خشية من الالتحاق بالجيش. وعندما أفصحت عن نيتها بالزواج من اليكس لم يعارضها احد ، بيد أنهم يعلمون بان هذه خطوة لها مردود خطير . ووفقا للرواية لم يمانع العرب أو اليهود من تقبل فكرة الارتباط المشترك بينهما ، ولكن لم يمنع المؤلف من ذكر البعض من المعارضات لهذه الفكرة من المتطرفين بكلا الجانبين (٢١).

علاقة الحب هي أسر لمنظومة الوجدان عبر سحر الجمال الذي يأسر المشاعر والأحاسيس

فتصبح عشقاً ليس فقط لمنظومة الجمال ذاته وأنما للكينونة الحاضنة لسمات الجمال وتفاصيله التي لايدركها عشاق الجمال كلهم وإنما المدركين لتفاصيله وصوره الخفية في الذات. حينئذ يصبح الحب، عشقاً وعبادة لمدلولات وصور لايراها غير العاشق لمعشوقه، وتلك الحالة من العشق لايمكن أن يدركها إلا من أبتلى بداء العشق في حياته!. [٢٢]. إن العشق بكل حال من الاحوال، يعني تحقيق الذات وتصريف الطاقة الفائضة من العواطف والأحاسيس الكامنة في القلب لتحرير الذات من عنفوانها وصخبها اللذان يوقدان النار في كل أرجاء الجسد ويمتد لهيبها إلى الروح الباحثة عن بحر من العواطف والأحاسيس لإطفاء لهيبها. وهذا ما قام به اليكس باعترافه لهدى عن جمالها ووقعه بحبها ، طبعا لم يكن يتنبا بردة فعلها خصوصا وهي من ديانة أخرى ومن شعب مغاير ، لذا لم يكن يتوقع منها الكثير:

"**את מוצאת חן בעיני אמר... את יפה מאוד. אם לא רוצה לא צריך**"[٢٣].

" قال : انك تعجبينني .... انكِ جميلة حقا . وإذا لم ترغبي بذلك فانه ليس ضروريا ".

حين تسمو حالة الحب لحالة عبادة الحبيب وعشقه تنهار منظومة التحكم في الذات، فتنطلق المشاعر وفياض الأحاسيس متحديةً قانون العيب في المجتمع وغير مبالية بأحكامه الجائرة التي تأسر العواطف والأحاسيس في تجاويف القلب وتحذر على العاشق إعلانها على الملأ!. حينها لايجد العاشق خياراً أمامه، إما إعلان عشقه على الملأ للتقليل من آثار احتقان العواطف والأحاسيس الناخرة لذاته وإما تحمل آثارها المدمرة للنفس، فتصاب النفس بداء جنون العشق[٢٤].هذا هو الحب الحقيقي، ذوبان الروح بالروح، الجسد ليس عنوان الحب بل الروح وقد يرقى الحب إلى العشق، فالعشق أعلى درجة من الحب، ومن هنا تبدأ رحلة البطلة، حب فعشق لا نهاية له.

بدات أثار العشق على هدى واخذت تعصف بها بشدة ، حيث بلغت بها انها تحلم بان تعزف معه سويا :

"**הייתי עם אלכס בכל נימי נפשי, הייתי נכונה להתייצב בינו ובין האקדחים השלופים.**" [٢٥].

" كنتُ مع اليكس بكل ما اوتيت من قوة ، كنتُ مستعدة للوقوف معه أمام البنادق المشهورة "

قام اليكس بانزال هدى من السيارة بعد قضاء العطلة . وعندما ترك مكانه وقام بفتح الباب لها ، لمست يده صدرها ، وهذه المرة لم تتصدم هدى من هذا الأمر واخذ اليكس بتقبيلها . بعد عدة قبلات احست هدى بأنها تطير :

"**נדמה לי שזוהר פני מאיר את הרחוב כזרקור**"(٢٦).

" أحسست بان وجهي يضيء الشارع كالمصباح "

وبعد ذلك قامت بضم اختها ميري إليها ، والتي اصيبت بالذهول من هذا التصرف لتقول لها : " انك غير تلك التي اعرفها ".

في تقديري المستحيل عند هدى، عجز الكلمات التعبير عما يعانية القلب من مشاعر الحزن، وهذه سمة يتصف بها كل محب صادق في حبّه، عندها سيأتي دور الكلمات، حيث يعبّر الادباء غالبا عن مصائب الآخرين وكأنها مصائبهم، وهذه هي الميزة الحقيقية لنجاح النتاج الادبي، فقد يستمر الاديب في رسم صور الحزن والكآبة والألم النفسي، لكن المفرح في المشهد أن البطلة تستعيد وعيها، وتخفف من حزنها من أجل الحياة، فلا حياة حقيقية مع الحزن المطبق، لابدّ من منفذ ومتنفس يعيد للموجوع حياته الطبيعية ولو بعد حين.

العربي الجديد بمواجهة العربي القديم

إن الانشغال الكبير بالشخصيات العربية في الرواية يبرز للقارئ المعضلة الرئيسية التي يواجهها العرب الإسرائيليون – هل يمكنهم الاندماج مع المجتمع الإسرائيلي أو يستوعبونه أم "العودة إلى الاصل" ، إلى العروبة الاصيلة ، إلى البدائية ، والكراهية ، والتطرف.

إن اللقاء بين العربي والمجتمع الإسرائيلي صعب للغاية للعربي الإسرائيلي . إذ تتغير هيئته ، طريقة كلامه وحتى ملبسه . وهنا نرى بعض النماذج في الرواية قد تغير طريقة حياتهم ، كما هو الحال في بطلة الرواية هدى التي تحاول التنازل عن هويتها العربية والاندماج بالمجتمع الإسرائيلي ، هروبا من مشاكلها النفسية التي لحقت بها جراء عشيقها الأول " بهيج " ، وفي نهاية المطاف تزوجت من يهودي وغيرت من دينها حتى . لكنها فشلت في تحقيق هذا الأمر ؛ فقد ضاع املها في الدافع الذي يحفزها من الانتقال من طرف إلى طرف آخر . فقد مات اليكس وتركها معلقة بين عالمين متناحرين حاملة طفل مجهول الهوية.

أما شخصيات أمثال " زهير ، اليأس ووحيد " فان هذه المشكلة لا توجد في نظرهم . فهم مرتبطون بهويتهم الأساسية " العربية " يرفضون رفضا قاطعا فكرة الاندماج في المجتمع الإسرائيلي.

العلاقة بين اليهود والعرب

يحتل موضوع العلاقة بين اليهود والعرب المحور الرئيس في الرواية . وان السؤال الأساسي في الرواية هو **هل يمكن أجراء التقارب بين العرب والاسرائيليين ؟** في إطار علاقة حب تبنى على انقاض الحقد بين الطرفين ، والحرب مستمرة باخذ القرابين والضحايا . فالحرب تلوح بالافق وظهور شخصيات يهودية وعربية مع مجموعة من العلاقات المتبادلة من مختلف الأنواع ، هذا الأمر قد عقّد من المشكلة.

وحين يستحكم الحب من شخص فإنه يكون في غاية العناد فلا يستطيع سماع نصيحة من أحد ولا حتى سماع صوت عقله، فهو يريد أن يعيش حالة الحب في صفاء حتى ولو كان مخدوعا، فلذة الحب لديه تفوق أي اعتبارات منطقية، وكلما زادت مواجهة هذا المحب كلما زاد إصراره، من الأفضل أن يترك دون ضغوط ليرى بنفسه من خلال المعايشة الحقيقية الواقع ؛ هل في محبوبه عيوبا لم يكن يدركها في حالة سكره وعناده، وبالتالي يستطيع هو تغيير رايه بنفسه، أي أننا ننقل المسئولية إليه (أو اليها) حتى يفيق من سكرة الحب و يخرج من دائرة العناد. وهذا الموقف نقابله كثيرا لدى الشباب حيث يصر أحدهم على شخص معين بناءا على عاطفة حب قوية وجارفة ولا يستطيع رؤية أي شئ آخر، وتفشل كل المحاولات لإقناعه (أو إقناعها)، وكلما زادت محاولات الإقناع كلما زاد العناد، ويصبح الأمر صراع ارادات تختفي خلفه عيوب المحبوب وتضعف بصيرة الحبيب إلى أقصى درجة، والحل الأمثل في مثل هذه الحالات هو الكف عن محاولات الإقناع، أي انه يخوض التجربة بنفسه (و بنفسها من خلال إعلان الأهل قبولهم اللامر –رغم معرفتهم باثاره السلبية ، وهنا ومن هذه النقطة تبدأ الحقائق تكشف رويدا رويدا امام الطرفين في فترة التعارف أو مقدمات الخطوبة أو في فترة الخطوبة ذاتها، وفي أغلب الأحوال يراجع الطرف المخدوع نفسه كليا أو جزئيا وربما تراجع عن هذا الأمر. وفي حالة عدم التراجع فالأفضل للأهل أن يقبلوا هذا الأمر الواقع بعد إيداء النصيحة اللازمة وليتحمل الطرف المصر على ذلك مسئوليته، وفي هذه الحالة سوف تكون هناك خسائر ولكنها ستكون أقل بكثير من تخان الأهل موقف عناد مقابل[٢٧]. في أثناء السفرة إلى ايلات ، سال اليكس حول كيفية الانتقال من بئر سبع إلى ايلات على الرغم من عدم اجادته للغى العبرية أوضحت له هدى قائلة :

"**יותר בטוח שיהודי הולך בראש וערבים אחריו**" [٢٨].

" بالتأكيد إن اليهودي بالمقدمة والعرب خلفه ".

وقص وحيد حادثة مؤلمة مر بها ، ففي التفجير الذي حدث في المراب العام في تل أبيب ، أُعتقل هو ، على الرغم من اصابته ، فقط لكونه عربيا ، حيث قدم وجهة نظر حقيقية حيال الوضع العربي هناك :

"**קשה להיות ערבי טוב...הרבה יהודים חושבים שערבי טוב זה ערבי מת. איך אפשר להשתדל להיות יום יום מת?**" (٢٩).

" من الصعب إن تكون عربيا جيدا ... إذ يظن الكثير من اليهود إن العربي المسالم هو العربي الميت . كيف يمكن إن تحرص يوما بعد يوم إن تكون ميتا ".

كان موضوع الصراع العربي الإسرائيلي موتيفا متكررا في الرواية ، بدءا من اعلام هدى عائلتها بحبها لاليكس اليهودي ، انفجرت الأم قائلة :

" **'הודא ..... הוא יהודי.'**

'אז מה?' שאל סבא.

אמא התבלבלה. 'היא ערביה! הדודים שלה יושבים פליטים בירדן. הוא יהודי، אתה לא מבין מה מפריד ביניהם?" (٣٠).

" هدى ..... انه يهودي ! "

سال الجدُ : " وما المشكلة ؟! "

ارتبكت الأم. "إنها عربية! أعمامها هم من اللاجئين في الأردن. إنه يهودي ، ألا تفهم ما الذي يفرق بينهما؟.

ومن ناحية الجد ، فانه كان انسانا حياديا تجاه الصراع العربي – الإسرائيلي ، وبتوجه هدى لسؤال الجد وكان اجابته لعلاقة هدى الجديدة :

" **'לא יותר ממה שהפריד ביני ובין סבתה. אני הייתי יחפן והיא בת שועים מיוחסת'**" (٣١).

" "ليس أكثر مما يميزني عن جدتها. كنت فقيرا وكانت هي من عائلة ميسورة الحال ".

أما ميري ، الاخت الصغرى ، فقد ايدت علاقتها باليكس ، وهي من دفعها لإقامة علاقات جنسية معه ، نعم ، إنه الصراع العنيف في داخل هدى بين الواجب والعفة، يكتنفانها ازاء الرجل الذي ارتبطت به ارتباطا قدسيا لا سبيل إلى الفكاك منه، أو الرجوع عنه، والحب المستعر في جنباتها

ازاء رجل نزل إلى حياتها نزول الوحي وسكن قلبها وفكرها سكنى الأعشاب والحشائش على ضفاف الينابيع والسواقي. في البداية رفضت هدى الأمر جملة وتفصيلا قائلة :

" **לא, אמרתי, 'זה לא בשבילי. יהודים וערבים חונקים אלה את אלה ואין לי כוח לחיות את המלחמה המטומטמת שלהם**"(٣٢).

" كلا ، لقد قلتُ إن هذا الأمر ليس لي . إن العرب واليهود يقتل بعضهم بعضا ، ولا يمكنني إن اعيش في وسط حربهم البغيضة ".

وأضمرت هدى لاليكس الود و الإخلاص ، إذ الفت في اخلاقه المتينة ضمانا قويا لسعادة امرأة محرومة. وبذلك أصبح حبيبا وعليها عزيزا.. فوجدت أن نفسيهما تآلفتا منذ تعارفتا، وأن عشرتهما المستمرة ومودتهما المتبادلة وعواطفهما المتجددة تركت في قلبيهما اثرا لا يمحيه الزمان ولا يبيده. طفقت معزوفات اليكس بماعبة مشاعر هدى التي انشرح قلبها لسماع العزف الذي يشبه إلى حد ما شخصا يواسيها في حياتها وفشلها في اختيار الأخر ، بلسما لجروحها من بهيج ومن نظرات المجتمع حيالها ، انها المجروحة التي وجدت دواءها بالمعزوفات :

"**לאלו ימים הגענו! מצאנו משענת ביללות של חצוצרה יהודית**"(٣٣).

" إلى اية عصر وصلنا ! فقد وجدنا بلسما في نغمات بوق يهودي "

جميلة الجارة كانت تملك حلا ، بعد احتدام النقاش بين الأم وابنتها حيال العلاقة المشبوهة والصعبة بينهما ، إذ تقول جميلة إن الحل يكمن بالتغيير من صيغة الزواج من الديني إلى المدني :

"**הוא יהודי והיא ערבייה. הרבנים לא ירצו אפילו להסתכל עליה, ושום כומר לא יעז לתת את ברכתו. שמעת על נישואין אזרחיים? לא? איפה את חיה?**" (٣٤).

" انه يهودي وهي عربية . سيرفض الحاخامين حتى بالنظر إليها ، ولا يوجد أي كاهن يمتلك الشجاعة ويعطيها بركاته . الم تسمعي بالزواج المدني ؟ كلا ؟ أين تعيشين انتِ ؟ ".

بلا شك ، يكون التمرد على التقاليد والأعراف الاجتماعية هدفاً لإثبات الذات الباحثة عن موقع قدم لها في أرضية المجتمع. مضافاً إليه فيض العواطف والأحاسيس المنفلتة عن سيطرة منظومة العقل، فسلوك وحركة المرء فيها يخضع إلى الفطرية أكثر منها لأحكام المجتمع فالأسير للنزعة الفطرية يسعى للإعلان عن الكينونة الباحثة عن روح أخرى لتعقد معها علاقة عشق (٣٥).إن اليكس هو شاب يهودي من الضروري اخذ الحيطة والحذر منه ومن ناحية أخرى انه زوج هدى المستقبلي ، والذي تقرّب من العائلة التي اعتبرته ابنا لها ، هذا الصراع الداخلي صرّحت به

هدى لشقيقتها ميري التي سألتها حيال موقف خطيبها وحيد من فكرة زواجها من الإسرائيلي اليكس :

"**ומה יאמר וחיד שלך? בן דודתו בורח מן הבית ויוצא להשמיד את ישראל، ואני מתחתנת עם יהודי**"(٣٦).

" وماذا سيقول وحيد خاصتكِ؟ ابن عمه هرب من البيت بهدف تدمير إسرائيل ، وأنا اتزوج من يهودي ".

أمر جميل، وهي تستسلم لقدرها المحتوم، التعبير فيه عمق، فهدى انتهى وجودها بانفصالها عن حبيبها الأول بهيج ، لكنها احبت وبدأت حياتها من جديد، الفراق ولّد الحياة، فتعلمت الجد ولا مكان للهزل عندها، تعلمت أن تعيش الحياة من خلال وجود الحبيب، فهو الحياة وهو الحب والنور والضياء والهواء العليل المنعش وتشعر أن وجودها من وجود حبيبها اليكس، ولا تشعر بالسعادة إلا من خلال وجوده فهو كل شيء بالنسبة لها.

إن وضع العرب في إسرائيل هو إشكالي. فعندما يسافر الزوجان هدى وأليكس وماري وديفيد إلى إيلات ، يخشى كلا منهم من الاستفسار عن الطريق ، لذا طلبوا من أليكس ، الروسي ، الذي لا يعرف اللغة العبرية ، أن يسأل عن الطريق لأنهم يخشون من أن يعرفونهم عربًا. وتعقد الأمر أكثر بعد مقتل ابن عم هدى " حسام " ، حيث وبّخ الجار " عادل " هدى بقوله :

"**בן דודה נפל והיא עם היהודי שלה**"(٣٧).

" **استشهد ابن عمها وهي تسير مع اليهودي خاصتها** ".

هذا التوبيخ ، والضغوط الجانبية من الناس ، فضلا عن اندلاع حرب لبنان ، أخذت هدى بالتفكير بعد رؤية البزة العسكرية لاليكس الذي قرر الانضمام إلى الجيش قائلة :

"**הרבה גברים ישראלים שלבשו מדים שכאלה הרגו ערבים**". وبالمشك: "**והמדים האלה כשהם על גופו של אלכס יהיו מטרה רצויה לכל חייל ערבי או לוחם פלסטיני.**" (٣٨).

" هناك الكثير من الإسرائيليين الذين ارتدوا هذه البدلة قاموا بقتل العرب " .... " إذا ارتدى اليكس هذه البدلة سيكون هدفا مرغوب به لكل جندي عربي أو مقاتل فلسطيني ".

طبعا علاقة اليهودي بالعربية من شانها إن إن تحدث شرخا بين العائلتين ، ميري وهدى . ففي حالة زواج ميري من وحيد وهدى مع اليكس يكون فرقا بين العائلتين فالاولى عربية والثانية

إسرائيلية ، حيث قالت ميري لشقيقتها باننا سنكون عائلتين متناحرتين . إن الخوف يكمن في الفجوة بين الثقافتين وطبيعة الحياة بين المجتمعين العربي والاسرائيلي :

"**נהיה שתי משפחות זרות ועוינות، משפחה יהודית ומשפחה ערבית**"(٣٩).

" سنكون عائلتين غريبتين ومتناحرتين ، عائلة يهودية وعائلة عربية ".

نقف من خلال تحليل هذه الرواية على خصوصية معينة تشكل جسد هذه القصائد، فهي فضلا عن أنها تجسد عالمين متناقضين أحدهما تأصيل الحياة بكل مباهجها ومرائها ووجها المشرق، أي إنها تجسد الجانب الايجابي المتمثل بالحب والأخرى تجسد الجانب السلبي أي الوجه البشع والمتمثل بالكراهية، فالرواية هنا يتجاذبها محوران هما محور الحب ومحور الكراهية، إذ انها هنا تتسع للوصف النفسي الذي يؤلف المظهر الحسي فيما تطالعه العين والحالة النفسية فيما تخزنه النفس من ذكريات.

"**אז הוא היה אויב, לא? הוא רצה להרוג, וידע שאולי יהרגו אותו – הוא בעצמו לא היה קורא לזה רצח. מגיע למחבל שיהרגו אותו**"(٤٠).

" **إذا كان عدواً ، اليس كذلك ؟ أراد إن يقتل ، وهم يعلم باحتمالية قتله ، وهو بنفسه لا يسمي هذا قتلا ، جاء المخرب الذي قتله** ".

الخاتمة

❖ إن الأسلوب الذي طرحه الاديب في قصة العشق المغاير كان أسلوبا نثريا ذكيا، فقد سعى في مقدمة هذه الرواية إلى كسب المتلقي إلى جانبه من خلال التعاطف مع هذه الموضوعات والانحياز إليها ومد سبل التواصل بينها وبين المتلقي، حيث مهد لهذه القصة حب ليكون التأثير الذي يخطط له أكثر وأشد، ولاسيما أن المتلقي قد انحاز إلى جانبه وضمن النجاح مقدما في الهدف التي سعى له، فقد عدت الساردة " هدى " ثيمة ايدلوجية عرض المؤلف من خلالها الواقع المزري للمجتمع العربي وربط النجاح فقط بالتقارب مع المجتمع الاسرائيلي المنفتح.

❖ من خلال استقراء الأرضية التي استندت إليها هذه الرواية والوقوف على البنى التحتية لها والمغزى الذي تقف وراءه، يتضح لنا أننا أمام اديب متأمل مفكر ينتقد الواقع الذي يراه قاسيا ويعري الحالة التي يرى أنها تستحق الإدانة، ومن جملة السمات الفنية التي استند إليها وشكلت بالتالي العمود الفقري التي يرى أنها تدور في دائرة الكراهية والتي يقف إزاءها موقفا سلبيا ، هي السمة المتعلقة بشيوع ثقافة الأخر والحقد والضغينة. فضلا عن اعتماد الاديب على السرد

والحشد الدرامي، والاستعانة بنوع من الأساطير الإغريقية والشرقية بصورة غير مباشرة لتعرية الواقع الفاسد وإعطائه بعدا نفسيا اخرا .

❖ لقد نمت أحداث الرواية وتطورت وفق حبكة محكمة بعيدا عن المباشرة والتقريرية، وإنها تندرج ضمن روايات الخيال ، إذ تعالج افرازات وارهاصات المؤلف وسعيه لنشر السلام . من حيث التمرد على القيم السائدة (الدينية والسياسية والثقافية) ومحاولة رفض الخضوع لها والتمرد عليها.

❖ استند سامي ميخائيل على الصراع بوصفه الأساس لبنيته السردية، فالحب عند سامي ميخائيل هو اكسير الحياة وله القدرة على تغيير الكثير من مظاهر حياة الانسان، وهو الكفيل بإحياء هذا الموت وبعث الجمال في هذا الخراب البشع، وهو وحده القادر على خلق عالم جديد يعرف معنى القلب ونبضه .

❖ كانت الرواية دعوة حقيقية للسلام وللإحساس أكثر بالعربي وبمشاعره والامه، والكاتب كان جريئا في الحديث عن الحب والجنس.؛ لذا فان الرواية تعالج طرف خفي ايضا مبني على اساس تحديد الية الصراع من طرف واخفته طرف اخر.

❖ لقد استطاع الكاتب من خلال الرواية أن ينير فكر القاريء، وأن يأخذه إلى فضاء رحب من خلال ثراء روايته بالدلالات والمعاني والصور الكثيفة والغربية أحيانا.

الهوامش

1 – Ali Mohamed Rashed ,**The Slang Languge In Roman (Birds In The Trafalgar) Of Sami Michael** , Journal Of Babylon Center for Humanities Studies , vol 8 , no 2 , 2018 , p.209.

2 – רוביק רוזנטל ، גבולות הרוח :רוביק רוזנטל משוחח עם סמי מיכאל ,הוצאת הקיבוץ המאוחד , קו אדום، תל אביב، 2000. עמ' 5 .

٣– יגאל שוורץ' נסיך ומהפכן: עיונים בפרוזה של סמי מיכאל ,הוצאת גמא، 2016. עמ' 14 .

٤ – קובי נסים , עמ' 6. על: סמי מיכאל، מים נושקים למים ، תל אביב : עם עובד، 2001 ، עמ' 6 .

5 – Ali Mohamed Rashed ,**ibid** p.211.

6– **Ben–Ezer, Ehud.** The refugee from Baghdad : on Sammy Michael's A Handful of Mist. Modern Hebrew literature, vol. 6, no. 3–4 (Winter 1981), pp. 40–43.

٧ – بشرى البستاني ، قراءات في الشعر العربي الحديث ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٥ .

8 – **Nitza Ben–Dov,.** A thousand and one nights in the light of day. Hebrew Modern Literature, N.S., no. 11 (Autumn/Winter 1993), pp. 37–39.

9 – **Zeidel, Ronen.** A question of language and audience : on the possibility of "Iraqi novels" in Hebrew. Hebrew Studies, vol. 50 (2009), pp. 229–243.

١٠ – שי חורב ,סמי מיכאל، בלקסיקון החיפאים אישים ודמויות בחיפה ,דוכיפת הוצאה לאור، 2018. עמ' 236 .

١١ – احمد عبد الستار الجواري ، الحب العذري ، القاهرة ، دار الكتاب العربي بمصر ، ١٩٤٨ ، ص ٤٥ .

١٢ – محمد حسن عبد الله ، الحب في التراث العربي ، القاهرة ، دار المعارف ، بلا تاريخ ، ص ٢٢٦ .

١٣ – סמי מיכאל ، חצוצרה בוואדי ،תל אביב ، הוצאת עם עובד، 1987 ، עמ' 5 .

١٤ – שם ، עמ' 19 .

15 Sternberg, R. J. A triangular theory of love. Psychological Review, Vol 93 (2) (1986).p. 119–135.

١٦ – עדה למפרט ,האבולוציה של האהבה ,הוצאת משרד הביטחון – האוניברסיטה המשודרת1994 ,

١٧ – שם עמ' 149 .

١٨ – שם ، עמ' 201 .

١٩ – שם ، עמ' 225 .

٢٠ – שם ، עמ' 40 .

٢١ – צבי נאור ,**הכימיה של האהבה: גנים, הורמונים ואהבה** ,הוצאת משכל,2011 ،، עמ' 42.

٢٢ – אליזבת בדינטר ,גם אהבה: תולדותיה של אהבת אם מן המאה ה–17 ועד המאה ה–20 , הוצאת ספרית מעריב 1985 ، עמ' 24 .

٢٣ – שם ، עמ' 42 .

24 – Berschied, E. & Walster, E. A little bit about love. In T. L. Huston, G. Levinger, E. McClintock, L. A. Peplau & D. R. Peterson, New York: Freeman.**Close relationships**, (1974). pp. 1– 19.

٢٥ – שם ، עמ' 72 .

٢٦ – שם ، עמ' 132 .

٢٧ – عكاشة عبد المنان ، مصدر سابق ، ص ٦ – ٧ .

٢٨ – שם ، עמ' 174 .

٢٩ – שם ، עמ' 174 .

٣٠ – שם ، עמ' 75 .

٣١ – שם ، עמ' 75 .

٣٢ – שם ، עמ' 84 .

٣٣ – שם ، עמ' 86 .

٣٤ – שם ، עמ' 158 .

٣٥ – עדה למפרט ,שם، עמ' 152 .

٣٦ – שם ، עמ' 152 .

٣٧ – שם ، עמ' 187 .

٣٨ – שם ، עמ' 201 .

٣٩ – שם ، עמ' 210 .

٤٠ – שם ، עמ' 189 .

Bibliography

1. Ada Lampert, The Evolution Of Love, Published By The Ministry Of Defense - The Broadcast University, 1994.
2. Ahmed Abdul Sattar Al-Jawari, The Virgin Love, Cairo, The Arab Book House In Egypt, 1948.
3. Akasha Abdel Monean, Love From Okeh, Cairo, Arab Book House In Egypt, 2012.

4. Ali Mohamed Rashed ,**The Slang Languge In Roman (Birds In The Trafalgar) Of Sami Michael** , Journal Of Babylon Center for Humanities Studies , vol 8 , no 2 , 2018.
5. **Ben-Ezer, Ehud.** The Refugee From Baghdad : On Sammy Michael's A Handful Of Mist. Modern Hebrew Literature, Vol. 6, No. 3-4 (Winter 1981).
6. Berschied, E. & Walster, E. A Little Bit About Love. In T. L. Huston, G. Levinger, E. Mcclintock, L. A. Peplau & D. R. Peterson, New York: Freeman.**Close Relationships**, (1974).
7. Boushra al-Bustani, Readings in Modern Arabic Poetry, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, 2002.
8. Elizabeth Bedinter, Love: The History Of Mother Love From The 17th Century To The 20th Century, Maariv Publishing House , 1985 .
9. Mohamed Hassan Abdullah, Love In Arab Heritage, Cairo, Dar Al Ma'arif, No History.
10. **Nitza Ben-Dov,.** A thousand and one nights in the light of day. Hebrew Modern Literature, N.S., no. 11 (Autumn/Winter 1993).
11. Rubik Rosenthal, The Limits Of The Wind: Rubik Rosenthal Talks With Sami Michael, Hakibbutz Hameuchad Publishing House, Red Line, Tel Aviv, 2000.
12. Sami Michael, Trumpet In The Wadi, Tel Aviv, Am Oved Publishing, 1987.
13. Shay Horev, Sami Michael, Haifa Lexicon Personalities And Figures In Haifa, Dukifat Publishing, 2018.
14. Sternberg, R. J. A Triangular Theory Of Love. Psychological Review, Vol 93 (2) (1986).P. 119-135.
15. Kobi Nissim. Sami Michael, Water And Water, Tel Aviv: Am Oved, 2001.
16. Yigal Schwartz, Prince And Revolution: Studies In Prose By Sami Michael, Gamma Publishing, 2016.
17. **Zeidel, Ronen.** A Question Of Language And Audience : On The Possibility Of "Iraqi Novels" In Hebrew. Hebrew Studies, Vol. 50 (2009),
18. Zvi Naor, The Chemistry Of Love: Genes, Hormones And Love, Published By Michkal. 2011.